كيف يخفى يهود أمريكا قوَّتهم ؟

" الشخصية المميزة لليهودى لا تنشأ من الديانة وحدها. صحيح أن هذا العرق وهذه الديانة متصلان برباط لا ينفصم لكن أيا كان سبب ربط فكرة العرق بالدين، فمن المؤكد أن الدين وحده لا يشكل الشعب. فالمؤمن بالعقيدة اليهودية لا يصبح يهوديا لهذا السبب. لكن اليهودى بالمولد يظل يهوديا، حتى لو أنكر دينه"

(ليو إن. ليفى، رئيس بناى بريث ١٩٠٠ــ١٩٠٤)

* * *

كم عدد اليهود فى الولايات المتحدة؟ لا أحد من الأغيار يعرف. فالرقم ملكية خاصة للسلطات اليهودية وحدها. فحكومة الولايات المتحدة يمكنها أن تقدم إحصاءات عن كل صغيرة وكبيرة تخص سكان البلاد، لكن فى كل مرة حاولت فيها عمل بيانات دقيقة عن اليهود الذين يدخلون البلاد بانتظام وعن عدد المقيمين منهم، كان اللوبى اليهودى فى واشنطون يتصدى لهذه المحاولات ويحبطها.

وعلى مدى عشرين عاما تواصل كفاح حكومة الولايات المتحدة فى سبيل انتزاع حقها فى عمل إحصاء كامل للسكان، وخلال نفس الفترة كان اللوبى اليهودى فى الكابيتول من القوة بحيث استطاع تحقيق الفوز.

وكان من شأن الزيادة الكبيرة فى الهجرة اليهودية التى شهدها عصرنا إعادة الاهتمام بالسؤال مرة أخرى. فلأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة تتشكل قناعة قومية بشأن المسألة. ومن أوروبا جاءت أول الأنباء التى هزت هذا البلد. فقد تحدثت التقارير عن حشود ضخمة من اليهود فى تجمعات معلنة فى تلك القارة. وشيدت لهم المعسكرات الكبيرة. وتوجهت من الولايات المتحدة أطقم مدربة،

بأوامر من الهيئات اليهودية السرية هناك، لتيسير سرعة إنجاز "عمل الجوازات "، كمـا كانـت تسميها هذه الهيئات. وأصبحت الهجرة إلى الولايات المتحدة نوعا من البزنس ــ بزنس يهودى صرف.

لمـاذا نقـول "بزنس يهودى صرف"؟ لأن هناك بلادًا أوروبية اليوم لا يُسمح للأغـيار منها بدخول الولايات المتحدة. فمن الصعوبة بمكان أن يفوز مواطن من روسـيا أو پولندا، حتى ولو كان بمفرده، بتصريح لدخول الولايات المتحدة. لكن يهـود پولـندا وألمانـيا وروسيا يأتون بالآلاف بمنتهى الحرية دون أدنى اعتبار للقوانـين، وبالـتحايل الواضح على اللوائح الصحية ــ إنه بزنس يهودى صرف لجلب مليون آخر من اليهود إلى الولايات المتحدة. إنه شيء أشبه بتحريك جيش، أدى دوره فى أوروپا بإخضاع تلك القارة، ويتحرك الآن باتجاه أمريكا.

وعندما عرف هذا البلد حقيقة الأوضاع فيما وراء البحار، وأصبح من الواضح أن الجمعـيات الـيهودية فـى الـولايات المتحدة هى الداعم الرئيسى لهذا الفرار الجماعـى باتجـاه أمريكا، بدأت الصحافة تتناول الموضوع، لأول مرة فى التاريخ الأمريكـي، بطـريقة تحذيرية. ويعد هذا بحد ذاته دليلا على أن الأمر أصبح على قدر من الخطورة بحيث لا يمكن تجاهله.

حتـى موظفـو الهجرة العاديون، الذين ظلوا لسنوات يراقبون الموجة البشرية وهـى تـتدفق على جزيرة إليس، تنبهوا فجأة هذا العام للتغير الحاد الذى حدث فى طبيعة هذا التدفق. فما الذى نبههم فجأة؟

أولا، لأنـه يتألف كلية فى معظم الأحيان من اليهود. فالأوكرانيون أو الروس أو الألمـان الحقيقيون لا يستطيعون المجيء. لكن اليهود من أى مكان يستطيعون هـذا، وهـم يأتون بالفعل من كل مكان تقريبا. فثار التساؤل عن سر هذا الامتياز الخاص.

وهـم، ثانيا، لا يأتون كمهاجرين، أو كأناس هاربين من الجوع أو الإعدام، بل يأتون كما لو كانوا أصحاب البلاد. إنهم يأتون كضيوف فوق العادة. فكما تم "تدبير" عمل الجوازات على الجانب الآخر، يجرى "تدبير" العمل هنا. القوانين يُضرب بها عـرض الحـائط، والتشـريعات الصحية توضع على الرف. فلماذا لا يتصرفون كأصـحاب الـولايات المتحدة؟ إنهم يرون موظفين للهيئات اليهودية السرية يفوق

نفـوذهم نفـوذ موظفى مكتب الهجرة الأمريكى. ويكتشفون من النظرة الأولى أن سـيطرة اليهود على جوانب الحياة هنا لا تقل عن سيطرتهم على جوانب الحياة فى روسيا. فلا عجب إن تجاوزوا كل الحدود وهدموا كل الأسوار والأبواب تحت أقدام غـزوهم. أليسـت هـذه هى أمريكا، "بلد اليهود"، كما يطلق عليها فى بلاد أوروبا الصغيرة؟

وهـناك، ثالـثا، تنظـيم مـتقن يتصدى للاعتراضات الجمة التى تثور ضد التصـريح لـيهود ثوريـين معـروفين بدخول البلاد. فاليهود الأوروبـيون ثوار محـتملون. فهم اليوم ثوار إيطاليا وألمانيا وروسيا وبولندا. إنهم زعماء التنظيمات الأمريكية الحمراء المتطرفة. وعندما يصل أحد أصحاب الملفات ــ وهناك بالطبع آلاف غيـره ملفـاتهم مجهـولة ــ إلى جزيرة إليس، فإن السلطات تعوقه. وعلى الفـور، تـنهال البـرقيات من كل أرجاء البلاد على أعضاء الكونجرس ورؤساء تحريـر الصـحف وكـبار المسئولين، تطالبهم بصيغة الأمر "الاهتمام" بأمر السيد فلان، المحتجز بجزيرة إليس. وفى اليوم نفسه، تنهال على واشنطون البرقيات من أعضـاء بالكونجرس ورؤساء تحرير الصحف وغيرهم من المتنفذين، مؤكدة على نظافـة يـد السيد فلان، مطالبة بالسماح فورا بدخوله الولايات المتحدة. كما تُستغل السفارة الروسية أحيانا فى هذا العمل.

إنه غزو، لاشك فى هذا؛ وهو غزو يلقى الدعم من مراكز قوة داخل الولايات المتحدة. غزو مغلف بغلالة رقيقة من المشاعر: "إن هؤلاء الناس هاربون من حكم الإعـدام". ويجـرى إبـراز المسألة بمهارة، عن طريق تقديم لقطات فوتوغرافية تعـرض بمهـارة لجماعـات من النساء والأطفال وقد كسا الحزن نظراتهم، ولا يقدمون بالطبع صور جماعات الشباب الجامح، الجاهز لنهب الولايات المتحدة بقدر ما كان استعدادهم لنهب روسيا.

لكـن هـذا هو الوضع الآن بالفعل. وما يهدف إليه هذا المقال ومقال تال هو تبصـير القارئ ببعض الحقائق حول صراع الحكومة بخصوص هذه القضية خلال الربع الأخير من القرن المنصرم.

إن المسـألة ليست غريبة على الولايات المتحدة، وهى، فى طورها الأمريكى، تلقـى الضـوء علـى بعـض الحقائق التى ظهرت خلال مناقشات اللجنة الملكية

البـــريطانية حـــول الهجرة الأجنبية، التى انعقدت فى لندن عام ١٩٠٢، والتى كان ثيودور هرتزل، الداعية الصهيونى الكبير، من بين من استمعت لشهادتهم.

وقد جاء فى بيانه الافتتاحى أمام اللجنة:

"إن وجود عدد كبير من شعبنا الآن فى انجلترا لأول مرة منذ عهد كروميل هو السبب الحقيقى وراء عقد هذه اللجنة. فانعقاد لجنتكم أكبر دليل على الضغط الذى تتعرض له انجلترا".

ويتواصل استجواب هيرتزل حتى يصل إلى ما يلى:

س: فى تناولك لمسألة الهجرة الأجنبية من منظور الولايات المتحدة، أشرت إلى أنها تتبنى مبدأ المنع؟

ج: نعم.

س: هل هذا المنع جزئي؟

ج: المـــنع، فـــى حدود علمى، لا يسمح إلا بدخول المهاجر الذى يحمل مبلغا معينا من المال عند وصوله.

س: هـــل تعلم أن عدد المهاجرين اليهود إلى الولايات يصل إلى ضعفى عدد المهاجرين منهم إلى المملكة المتحدة؟

ج: أعـــرف هذا. فنيويورك الآن لا تضارعها مدينة أخرى فى العالم من حيث عدد سكانها من اليهود.

س: وهل تعلم أن المنع الفعلى لا يشمل سوى نسبة بسيطة؟

ج: نعـــم، لكنهم مع ذلك يذهبون إلى أمريكا. فأنا أعتقد أن من السهل التحايل علـــى مثل هذا المنع. فإذا ما التحق المهاجرون بشركة صغيرة، على سبيل المثال فإنهـــا تعطى المبلغ المطلوب من كل منهم ليظهره للسلطات فيدخل، ثم يعيد المبلغ للشركة بالبريد. فليست هناك إجراءات فعالة لمنعهم من الدخول.

س: مـــا فهمـــته هو أن إشارتك للولايات المتحدة تعنى موافقتك على تصرفها كنوع من الرقابة الذاتية؟

ج: لا.

وبعد قليل تعود مسألة الهجرة إلى الولايات المتحدة لتطرح نفسها مرة أخرى. ولا زالت الإجابات على لسان هيرتزل ــ وتذكروا أننا لا زلنا فى العام ١٩٠٢.

obeikandl.com

س: مـــا مـــدى علمك بصحة ما يقال عن أن زعماء اليهود فى أمريكا أخبروا مبعوثيهم هنا بأنهم لا يستطيعون استقبال وتوزيع المزيد من المهاجرين اليهود؟

ج: ســـمعت عـــن مصاعب فى الهجرة، وعن تكدس اليهود. أما بالنسبة لتلك المعلومات، فلا علم لى بشىء.

س: بـــرأيك، ألـــن يتزايد تدفق المهاجرين إلى الولايات المتحدة فى حال عدم وجود مثل ذلك القانون؟

ج: لا أعتقد أن مثل هذا القانون يغير كثيرا من الوضع. فالمنع لن يغير شيئا.

س: ما الذى يجعلك تعتقد هذا؟

ج: **إنها مسألة سواحل وموانئ. إنهم يدخلون.** ما الذى يمكن أن يمنع شخصا من الدخول؟

س: هل تعنى أنهم يدخلون عبر التهريب؟

ج: لا، لا أعتقد هذا. لكنهم يجدون دائما طريقة للدخول.

والآن، لـــم تعـــد مناقشة مسألة الهجرة إلى الولايات المتحدة حرة تماما. فنحن نـــتحدث كثيـــرا عنها بصورة عامة، لكن ليس عن أجناس بعينها، باستثناء الحديث عن الصينيين واليابانيين. لكن هيرتزل كان يعرف، على ما يبدو، أن اليهود سوف يخلقـــون مشـــكلة فى حال تزايد أعدادهم (ما قاله على وجه الدقة إنهم "سيصبحون مصدرا للمتاعب ويشكلون عبئا على الأرض، فى حال زيادة عددهم بشكل ملحوظ فى أمريكا")، كما يعلم حجم الجهود المطلوبة لمواجهة الموقف. لكن الأكثر من هذا أنـــه تغاضى عما يجب التحسب لعواقبه، أى مقاومة مثل هذه الجهود. وهو يقول: "هـــناك مـــثل فرنسى يقول 'هذا الحيوان نافد الصبر تماما، وسيدافع عن نفسه إذا تعـــرض للهجـــوم'. وإذا مـــا تعرض اليهود لهجوم، فسوف يدافعون عن أنفسهم، وستحدث بعض المتاعب الداخلية".

ويـــبدو أن وقتا جاء على الولايات المتحدة بدأ فيه مسئول بعيد النظر يتساءل عمـــا يـــنذر به الغزو اليهودى. وكان الغزو قويا بالقدر الذى يصعب معه مهاجمته علـــنا. فقـــد كـــان اللوبى اليهودى فى واشنطون قويا حتى فى ذلك الحين. والحال

obeikandl.com

كـذلك، فـإن هذا المسئول توصل إلى أن السبيل الأمثل لمسألة على هذا القدر من الأهمية هو جمع المعلومات.

لكـن لكـى تحصـل علـى المعلـومات، يجب أن تحصل على تصريح من الكونجرس؛ ولكى يصرح الكونجرس، يجب أن تعقد جلسات استماع. وقد صدرت المـوافقة علـى عقد الجلسات، ولا تزال تسجيلاتها، برغم قلتها، موجودة. وسوف نقدم للقارئ مقتطفات مهمة منها، وسيرى بنفسه كيف يتعامل رجال دولة أمريكيون بعينهم مع المسألة ككل.

وهـنا يجـب أن نسجل ملحوظة مهمة وهى أن اللوبى اليهودى أصبح ، فى الـنهاية، أكثـر دربـة فى التعامل مع مثل هذه المسائل. فمن الصعب الآن تعيين موظـف يتوقع منه أن يقدم اقتراحات بجلسات استماع فى الكونجرس حول المسألة الـيهودية. بالطـبع، سيأتى الوقت الذى تناقش فيه حكومة الولايات المتحدة المسألة اليهودية برمتها، لكن ذلك لن يكون نزولا على طلب من أحد المسئولين، وإنما بناء على مطلب شعبى.

ويحـذر المسئولون الآن كل الحذر من التدخل فى هذه المسألة. فهم يدركون العواقب جيدا. فأثناء الحرب كان الكثير من المتابعات السرية لقضايا خطيرة يقود إلى الأحياء اليهودية، وغالبا ما كان رجل الخدمة السرية الذى يقدم تقريرا صادقا يفاجـأ بنفسـه مـبعدا تماما عن مهمته. لماذا؟ لأن جميع التحركات اليهودية فى البلاد تحظى بحماية قوية من قبل مراكز نفوذ مستترة.

لقـد جاء وقت على الولايات المتحدة سرت فيها رغبة ملحة لمعرفة العناصر التى يتألف منها سكان البلاد. هل نحن أمة أنجلو سكسونية، أم سامية، أم لاتينية، أم مـاذا؟ هكذا كان الموقف، وقد أعلنه مسئولون فى ذلك الوقت: فى الثمانينيات وما قـبلها، كان يمكنك الافتراض بكل ثقة أن المهاجر القادم من أيرلندا أيرلندى، وأن المهاجـر القـادم مـن النـرويج أو السويد اسكندناڤى، والمهاجر القادم من روسيا روسى، والمهاجر القادم من ألمانيا ألمانى، الخ.

لكـن الـزمن تغير. فقبل عام ١٨٨٠، كانت عبارة "ولد فى روسيا" تعنى أن الشخص روسى. لكن طبقا لما جاء فى بيان مسئول حكومى تناول السنوات العشر

التـــى تلت عام ١٨٨٠ فإن "عددا كبيرا من اليهود قدموا من هذا البلد إلى الولايات المـــتحدة، بحـــيث أصبحت عبارة "وُلد فى روسيا"، تعنى عند عامة الناس "يهوديًا روســـيًا ". ثم واصل المسئول نفسه حديثه ليبين أنه خلال فترة السنوات العشر التى جـــاء فـــيها من روسيا ٦٦٦٥٦١ يهودى، قدمت من روسيا أيضا أعداد كبيرة من البولنديين والفنلنديين والألمان والليتوانيين.

والآن، فإنـــنا إذا ما وضعنا كل هذه الانتماءات فى الإحصاء السكانى تحت بند "روس" لكان هذا تضليلا بينا، وليس تضليلا فحسب، بل يُفقد التعداد قيمته. فالهوية العـــرقية ستضيع، وتصبح معرفتنا بالتركيبة العرقية للأمة منقوصة. ولهذا، طلبت ســـلطات تعداد السكان من الكونجرس الموافقة على تصنيف السكان حسب "العرق" وكـــذلك "مســـقط الرأس". وهذا يبدو معقولا تماما. فلأى غرض يمكن تصنيف ٣ ملـــيون يهـــودى كـــــ "روس"، بينما لا يوجد بالبلاد سوى عدد محدود للغاية من الروس الحقيقيين، فى وقت يختلف فيه الروسى عن اليهودى كل الاختلاف؟

ووقـــف الســـناتور ســـايمون جوجـــنهايم أمام اللجنة ليعترض على الاقتراح. واســـتخدم الصياغة المعتادة فى مثل هذه الحالات. فقد قال: " أعترض عليه بصفة شخصية، ليس لأننى يهودى، ولكن لأنه غير مناسب".

هـــذه هـــى الصياغة اليهودية المعتادة للاعتراض. فبناى بريث قالت الشيء نفســـه عـــندما فرضت منع تدريس "تاجر البندقية" لشكسپـــير فى المدارس العامة. فـــ "رفض التشويه الدورى" للمجتمع يتضمن دائما فكرة: "إننا لا نؤسس طلبنا على الإربـــاك الـــذى يمكن أن يصيب الطلبة اليهود بالفصول، وموقفنا من هذه المسألة لـــيس نابعا من حساسية مفرطة. إن اعتراضنا نابع من الأثر الذى يمكن أن يحدثه هـــذا فـــى الأطفال غير اليهود، الذين سترتبط فى أذهانهم بطريقة لا واعية صورة الـــيهودى كمـــا قـــدمها شكسپـــير بيهودى اليوم". وهكذا، كان السناتور جوجنهايم يمارس اللعبة وفق القواعد التى وُضعت واستقرت لمثل هذه الحالات.

كـــان رئيس جلسات الاستماع تلك هو السناتور لافوليت. وكان جدال السناتور جوجـــنهايم منصبا على أن مصطلح "يهودى" اسم لعضو ينتمى لطائفة دينية، وليس لعرق.

وقـــال الـــرئيس لافولـــيت: "يمكننى أن أرى العديد من الأسباب العرقية وراء معرفة الدم والعرق الذى ينحدر منه الإنسان فى بعض الأحيان".

ورد جوجنهايم: "ولماذا لا نسأل عن دينه؟".

وانضـــم السناتور ماكمبر والسناتور بيلى لتأييد مقولة جوجنهايم بأن مصطلح "يهودى" مصطلح دينى وليس عرقيا.

وقـــال الـــرئيس لافولـــيت: "لم أفهم بدقة سبب اعتراضك على هذا يا سناتور جوجـــنهايم. مـــا وجـــه الاعتراض على تسجيل العرق الذى ينحدر منه الشخص بصورة صحيحة؟".

ورد الســـناتور جوجـــنهايم: "لأنه غير صحيح حين يعلن بهذه الطريقة. اليهود ليسوا عرقا".

وفـــيما بعـــد، تـــدخل الســـناتور كمنز ردا على ملاحظة مؤيدة لليهود أبداها السناتور بيلي.

قـــال السناتور بيلي: "لو أننى يهودى وُلدت هنا وطُلب إلى قول أى شىء غير أنى أمريكى، لتصديت لمندوب التعداد. بل ربما رفضت الإجابة على أسئلته".

ورد الســـناتور كمنـــز: "لـــم أكـــن لأتردد فى ذكر اسم الدم الذى يجرى فى عروقى".

وقال السناتور بيلي: "لا. لكن فى الحالة التى أشير إليها، هناك فرق".

وقال السناتور جوجنهايم: "هذه هى المسألة؛ إنها مسألة دين".

كـــان هـــذا فى أبريل ١٩٠٩. وفى ديسمبر ١٩٠٩، كان سايمون وولف هو الشاهد الرئيسى لصالح اليهود. وسايمون وولف شخصية مثيرة للغاية. فمنذ ما قبل الرئيس لينكولن وهو عضو باللوبى المؤيد لليهود فى البرلمان القومى (الكابيتول)، وعلـــى صـــلة بكل الرؤساء، من لينكولن إلى ويلسون. وفى جلسات الاستماع التى شـــهد أمامها السيد وولف، كان الرئيس هو السناتور ديلنجهام، وكانت أكثر جوانب الجلســـات حـــيوية ووضـــوحا هـــى تلـــك التى تناولها السناتور لودج. وفيما يلى مقتطفات تعكس مجمل روح الجلسات والحوار الذى دار فيها.

الســـيد وولـــف: "المســـألة كالتالـــى: اليهودى الذى يأتى من روسيا روسى؛ والـــذى يأتى من رومانيا رومانى؛ والذى يأتى من فرنسا فرنسى؛ والذى يأتى من

انجلتـــرا انجليـــزى؛ والذى يأتى من ألمانيا ألمانى؛ فالعبرية أو اليهودية هى ديانة وحسب .

السناتور لودج: "هل أفهم من هذا أنك تنكر أن اليهود يشكلون عرقا؟".

السيد وولف: "كيف؟".

السناتور لودج: "هل تنكر أن كلمة "يهودى" تعبير عن عرق؟".

الســيد وولف: "بوصفى ممثلا لاتحاد الطوائف العبرانية الأمريكية ــ وهو ما أنـــا علـــيه مـــنذ حوالى ٣٠ عاما ــ فمرجعى هو آراء وأفكار عدد من قادة يهود الـــولايات المـــتحدة، مـــن بيـــنهم الدكـــتور سيروس آدلر، الذى كان أمين المكتبة السميثونية، وكلهم يؤكدون على أن اليهود لا يشكلون عرقا".

الســـناتور لـــودج: "هـــذه، فـــى رأيى، نقطة مهمة. وقد قرأت فى الموسوعة الـــيهودية، التـــى شـــارك فـــى كتابـــتها ســـيروس آدلر مع آخرين النص التالى "بـــل إن هـــناك مشـــكلة على قدر كبير من الحساسية ظهرت منذ البدايات الأولى وتمثلت فيما لاحظته الموسوعة من نأى بعض اليهود عن الطائفة، لسبب أو لآخر بالرغم من انتمائهم لها بحكم المولد. وحيث إن هذا العمل **ينظر إلى اليهود كعرق** فقـــد انتهينا إلى استحالة عزل أولئك المنتمين إلى ذلك **العرق**، أيا كانت **انتماءاتهم الدينية**"

وتحـــوى نفس الموسوعة تحليلا للبروفيسور جوزيف جاكوبز، الرئيس السابق للجمعـــية التاريخـــية اليهودية بانجلترا، يرد به: "من الوجهة الأنثروبولوچية، فإن الـــيهود ***يمـــثلون عرقا*** من نوع منسجم بصورة ملحوظة، ويعود ذلك إما إلى وحدة العرق أو تشابه البيئة".

"أريد أن أعرف موقفك. هل يعنى كلامك أن مصطلح يهودى ليس مصطلحا عرقيا؟".

السيد وولف: "لقد قلت ما عندى، وآرائى موجودة بهذا الكتيب .

الســـناتور لـــودج: "دعنى أوضح المسألة. كيف تصنف بنيامين دزرائيلي؟ هل كان يهوديًا؟".

السيد وولف: "لقد ولد يهوديا".

السناتور لودج: " لقد تعمّد كمسيحى، فهل لم يعد من ثم يهوديا؟".

السيد وولف: "نعم؛ لم يعد يهوديًا من الوجهة الدينية".

السناتور لودج: "أوه! من الوجهة الدينية. لقد كان فخورا بيهوديته، وكان دائما يتحدث عن نفسه بوصفه يهوديًا. فهل تغييره لدينه يغير من عرقه؟".

السيد وولف: "هذا لا يغير من حقيقة أنه وُلد يهوديا إطلاقا. وأنا أعرف يهودا فـــى أنحاء العالم يصنفونه، مع هاين وبورن وغيرهم ممن تجرى فى عروقهم نفس الـــدماء كـــيهود عندما يتحدثون عن الأشخاص الذين قدموا للعالم إنجازات مذهلة. لكنهم لم يعودوا يهودا من حيث الديانة".

السناتور لودج: "بدون شك. ما أردت معرفته هو ما إذا كان مصطلح "يهودى" أو "عبرى" مصطلحًا عرقيًا".

الســـيد ووللـــف: "بعد إذنك، ستجد خطابا من الدكتور سيروس آدلر فى نهاية الكتيب، أرجو أن تقرأه، ففيه فائدة للجنة".

الســـناتور لودج (بعد قراءة الخطاب المشار إليه) "لا أعتقد أنه يجيب على أى شىء".

الســـناتور لـــودج: "لم أسمع إطلاقا قبل مجيئك هنا أن التصنيف الذى وضعته سلطات الهجرة يحوى شيئا بخصوص الديانة. التصنيف عرقى. إن من المهم، بل المهم جدا، أن يكون لدينا تصنيف عرقى دقيق قدر الإمكان".

الســـيد وولـــف: "أنت تعلم أن مكتب التعداد حاول منذ مدة التصنيف على هذا النحو ومُنع من ذلك".

الســـناتور لودج: "كلمة "عرق" استبعدت من استمارة تعداد السكان. وكان هذا خطأ فادحا. إنها تجرد البيانات من فائدتها المرجوة".

الســـيد وولـــف: "يمكننى ببساطة أن أكرر ما سبق أن قلته من أننى أعبر عن آراء مـــن أمـــثلها: اتحاد الطوائف العبرانية الأمريكية، ومنظمة بناى بريث. وهما

يعارضـــان التصنيف بصورته التى ظهر بها فى السنوات القليلة الماضية والطريقة التى تم تناوله بها، كما أُبلغت، فى تقرير اللجنة".

وتواصـــلت جلســـات الاستماع، وانضم جوليان دابليو ماك فيما بعد إلى صف اليهود.

ومن خلال المقتطفات الواردة بهذا المقال، أصبح هناك أربع قضايا على أكبر قدر من الوضوح:

أولها، أن اليهودى يعارض أى تشريع يحول دون دخوله أى بلد.

ثانيها، يرفض اليهودى الخضوع لأى تصنيف عرقى بعد دخوله أى بلد.

ثالـــثها، الصـــياغة اليهودية التى تقدم لسلطات الأغيار هى أن اليهودى يمثل ديانة، لا عرق.

رابعها، **فيما يتصل بمسألة العرق، هناك أكثر من دليل على أن اليهودى لديه رؤية يقدمها لسلطات الأغيار، وأخرى يتبناها أمام أبناء طائفته.**

وهناك نقطة أخرى ينبغى الإشارة إليها. فعندما تهمل السلطات مقولة "دين، لا جـــنس" باعتـــبارها فكـــرة يتعذر الدفاع عنها، يلجأ ممثلو اليهود إلى إشهار سلاح منظماتهم، وهو أن المنظمات ترفض هذا، ولن تقبل بذاك.

إن لـــرجال اللوبـــى الـــيهودى وســـائلهم. فليس هناك إحصاء لعدد اليهود فى الـــولايات المـــتحدة. وهناك ٤٦ تصنيفا لا يندرج اليهود تحت أى منها. فالسجلات تميـــز بين الإيطالى الشمالى والإيطالى الجنوبى، وبين المورافى والبوهيمى، وبين الأســـكتلندى والانجليـــزى، وبـــين الإسپانى الأمريكى والإسپانى الأوروپى، وبين الهنود الغربيين والمكسيكيين؛ أما اليهودى فخارج التصنيف.

إن أيـــا مـــن المنتمين إلى الأعراق الأخرى لم يبد اعتراضه. وفى هذه النقطة يقول التقرير: "الأمر المؤكد لدى اللجنة أن تصنيف المواليد الأجانب طبقا للأعراق أو الشـــعوب التـــى ينحدرون منها بدلا من التصنيف على أساس مسقط الرأس أمر مقبول من شعب الولايات المتحدة، ***مع استثناء واحد***".

واضطر المسئولون الذين تعهدوا بأن يعكس تقرير تعداد السكان دقة علمية فى رصد التركيبة العرقية لسكان الولايات المتحدة إلى التسليم بإلغاء توصيتهم.

فمـــا هـــى النتـــيجة؟ إذا سألت مسئولا فى حكومة الولايات المتحدة عن عدد الفرنســـيين بالـــبلاد، فسيجيبك على الفور. وإذا سألت عن عدد البولنديين، ستجده. وإذا ســـألت عن عدد الأفارقة، فلن تجد صعوبة فى تلبية طلبك. ولن تجد صعوبة فى الاستفسار عن كل محتويات القائمة، وستجد أن الحكومة على علم بهذا.

لكـــنك إذا سألت حكومة الولايات المتحدة عن عدد اليهود الموجودين بالبلاد، فلـــن تتلقى أية إجابة؛ فلا وجود لأية سجلات. وإذا أردت الحصول على معلومات حـــول الموضـــوع، فعلـــيك اللجـــوء إلى مسئولى أو ممثلى الحكومة اليهودية فى الولايات المتحدة.

وبالطـــبع، إذا كانت كلمة "يهودى" مصطلحا دينيا، مثل معمدانى أو كاثوليكى أو مسيحى أو كويكرى Quaker، فليس من حق الحكومة أن تسأل إلا إذا تعارض الدين مع مُثل الجمهورية أو أصبح يشكل خطرا عليها. لكن إذا كانت كلمة "يهودى" مصـــطلحا عـــرقيا، أو قوميا، فعلى الحكومة، والحال كذلك، أن تعنى بتسجيل كل السكان الذين يعيشون فوق هذه الأرض.

وكشـــأن كـــل المسائل المتعلقة باليهود، يمكن إثبات هذه المسألة من أقوالهم. والـــنقطة الحاسمة هنا هى ما يلقنه اليهود لليهود. وفى المقال التالى سنرى ما يقوله اليهود أنفسهم عن "العرق أم الدين؟".

(ديربورن إندبندنت، عدد ٩ أكتوبر ١٩٢٠م)

* * *